رأي القدس

الامم المتحدة تفقد مصداقيتها

■ تقف الامم المتحدة موقف المتواطئ ازاء العدوان الذي يستهدف المدنيين الابرياء في لبنان وفلسطين، الامر الذي سيضيف سببا جديدا لسقوط مصداقيتها في اعين اكثر من مليار ونصف المليار مسلم ينتشرون في معظم انحاء العالم.

عشرون يوما والدبابات والطائرات الاسرائيلية تقصف المدنيين، وتدمر محطات الكهرباء والماء والجسور، وترهب الاطفال ومجلس الامن الدولي لا يفعل شيئا، بل ويرفض مناقشة مشروع قرار عربي مخفف يطالب بوقف الهجمات لان الولايات المتحدة لا تريد مثل هذه المناقشة، وصدور اي قرار ضد الدولة العبرية التي تساند عدوانها.

الغربيون، والولايات المتحدة على وجه التحديد، تؤكد دائما انها في حربيها ضد العراق وافغانستان لم تكن تستهدف الاسلام والمسلمين، وانما تكافح «الارهاب» وتحاول منعه في مواقعه حتى لا يصل الى اراضيها، وتضرب مثلا بتدخلها لمصلحة المسلمين في كوسوفو والبوسنة.

التدخل الغربي لمصلحة المسلمين في كوسوفو وحماية ارواحهم من مجازر الصرب حدث فعلا وهو جهد محمود، ولكن لان العدو الذي يهدد ارواح هؤلاء هو الصرب وليس الاسرائيليين. مضافا الى ذلك ان كوسوفو والبوسنة تقعان في قلب القارة الاوروبية ومواطنيهما من الاوروبيين البيض.

فاسرائيل تستطيع ان تقتل وتنسف وتخرب وهي مطمئنة الى الدعم الغربي، بشقيه الاوروبي والامريكي لانها فوق القوانين الدولية والالهية، لان الغرب ما زال يشعر بعقدة الذنب من جراء ممارساته العنصرية والدموية في حق اليهود قبيل الحرب العالمية الثانية، وخاصة في المانيا النازية.

عقدة الذنب هذه تجاه اليهود هي التي تسببت في اغتصاب فلسطين، واعطائها لهؤلاء لكي يقيموا وطنا عليها، ثم بعد ذلك اطلاق يدهم في اضطهاد وابادة شعب كامل، والاعتداء على دول الجوار واحتلال اراضيها اذا تجرأت على مساعدته لنيل الحد الادنى من حقوقه.

العالم الغربي لم يتدخل مطلقا لوقف المجازر الاسرائيلية في قطاع غزة، بل مهد لها بشكل عملي فاعل عندما اوقف جميع مساعداته المالية للفلسطينيين عقابا لهم على ممارسة حقهم الديمقراطي وانتخاب حركة «حماس» بديلا عن الفساد ومافياته. وذهب الى ما هو ابعد من ذلك عندما منع الدول المانحة العربية من تحويل اي اموال لحكومة «حماس» عبر البنوك العربية والدولية.

وهذا الموقف الغربي قصير النظر والمنحاز للعدوان، لا يتناقض مع كل الادعاءات الغربية حول احترام حقوق الانسان وترسيخ القيم الديمقراطية فقط، وانما ادى الى تغول الاسرائيليين في ممارساتهم العدوانية الدموية وانفجار الوضع في جنوب لبنان.

الامم المتحدة التي قدمت غطاء للعدوان الامريكي على العراق، وتستعد لتقديم غطاء ثان لعدوان آخر على ايران بسبب برنامجها النووي، باتت تتخلى عن مهمتها التي انشئت من اجلها وهي حفظ الامن والسلام الدوليين والانتصار للشعوب المستضعفة.

وما يؤسف اكثر ان امينها العام السيد كوفي عنان الذي ولد من رحم المعاناة في افريقيا يساوي بين الجلاد والضحية، ويطالب الفلسطينيين واللبنانيين بالافراج فورا عن الجنود الاسرى الاسرائيليين ولا يقول كلمة واحدة عن الاسرى العرب في سجون الاحتلال وغالبيتهم الساحقة من المدنيين الابرياء.

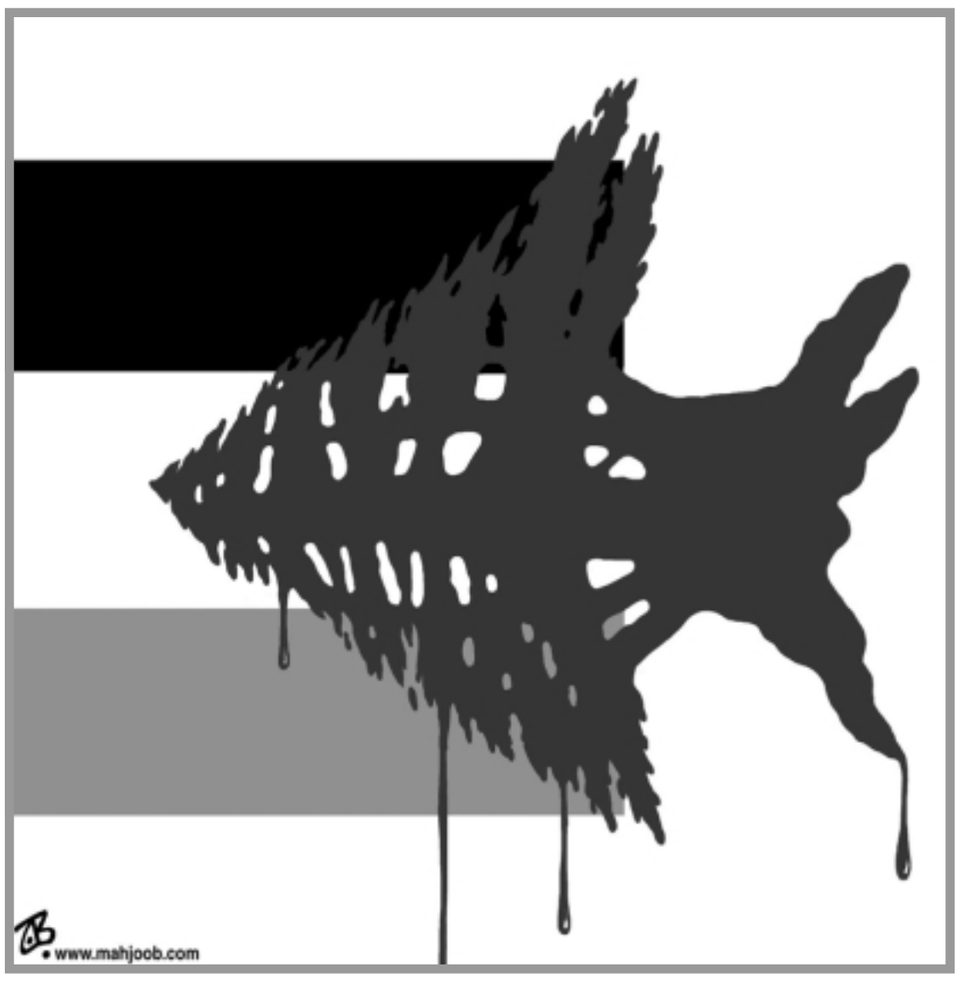

السياسة خلف «الوعد الصادق»: مخاطر تبسيط الحقّ الواضح

صبحي حديدي *

■ ليس أيسر، وأوضح بمعنى المنطق المقارن البسيط، من القول إنّ الدولة العبرية لا تفهم على صعيد ملفّ الأسرى والمعتقلين إلا اللغة التي لجأ إليها «حزب الله» في عمليته يوم أمس: أي خطف جنود إسرائيليين لمقايضتهم، أضعافاً مضاعفة في العادة، بعشرات أو مئات المحتجزين في المعتقلات الإسرائيلية. على المنوال ذاته، ليس جديداً استعادة حقائق عتيقة من نوع صمت المجتمع الدولي عن جرائم إسرائيل، بل تمتّع معظم هذه الجرائم بتغطية ذرائعية أو حتى مساندة مباشرة من قوى عظمى مثل الولايات المتحدة وبريطانيا، الأمر الذي لا يحول دون ردع تلك الجرائم فحسب، بل تشجّع ارتكاب المزيد منها.

وبالطبع، ثمة الكيل بمكيالين في كلّ ما يخصّ قضايا العرب إجمالاً، والفلسطينيين بصفة خاصة، وكيف صارت ممارسة هذا المبدأ قاعدة دائمة بدل أن تكون الاستثناء، وسقطت عنها جميع محظوراتها القانونية والأخلاقية، ولم يعد يكتنفها أيّ تحسّب أو حرج أو حياء. وإلى هذا وذاك، يجري ترقية حقائق الاختلال الهائل في موازين القوى بين الدولة العبرية وجيرانها، فضلاً عن خصومها وأعدائها وضحاياها، إلى مستوى التسليم شبه المطلق وشبه القدري بأنّ أيّ شكل من أشكال المقاومة هو العبث بعينه، بل يتحدّث البعض (من العرب ليبراليي آخر زمان!) عن لاعقلانية العين التي تقاوم المخرز!

ولكن هل يمكن لأيّ مقدار عالٍ وجلي من وضوح هذه البساطة، أن يبرّر تبسيط فرضيات معقدة ذات طابع جيو ـ سياسي محلّي وإقليمي ودولي، وفي الآن ذاته يسبغ الشرعية على كلّ ما ينجم عن ذلك من عواقب وخيمة، سياسية وإنسانية؟ في عبارة أخرى، هل يمكن الإتكاء على حقيقة أنّ إسرائيل لا تفهم إلا لغة واحدة بصدد ملفّ الأسرى والمعتقلين، لكي يقوم «حزب الله» بعمليته يوم أمس؟ وهل يصحّ الركون إلى التبسيط الذي طرحه الأمين العام للحزب، الشيخ حسن نصر الله، من أنّ الأمر بأسره هو: «التفاوض غير المباشر، والتبادل، والسلام»؟ أو أيضاً: «لا نريد التصعيد في الجنوب، ولا نريد أخذ لبنان ولا المنطقة إلى حرب»؟

هل في وسع «السيد» أن يُسقط من الحساب، البسيط والواضح والمنطقي أيضاً، أنّ آثار عملية «الوعد الصادق» لن تقتصر على عقاب البشر في لبنان (47 قتيلاً ومئات الجرحى حتى ساعة كتابة هذه السطور)، وتدمير جسور الشوف وإقليم الخروب، القاسمية والزهراني والسعديات والدامور والأولي وسبلين ووادي الزينة والدلهمية وعلمان وجدرا، وتعطيل مطار بيروت، وقصف الضاحية الجنوبية وإنذار سكانها بمغادرتها، والإغارة على بعلبك، فضلاً عن استهداف البنى التحتية، وفرض الحصار الجوّي والبحري على لبنان...؟ وهل في وسع «السيد» أن يحصر النطاق الجيو ـ سياسي للعملية في لبنان وحده، وليس أيضاً في سورية وفلسطين وإيران والعراق، إذا تسامح المرء قليلاً فلم يتحدّث عن السعودية ومصر والأردن؟

فعلى صعيد الداخل اللبناني، ورغم المشروعية المطلقة في حقّ استرداد الأسرى والمعتقلين، هل توقيت العملية في السياقات السياسية والأمنية والاجتماعية الراهنة يلائم تحقيق هدفها المعلَن، تسهيل إطلاق سراح سمير القنطار ورفاقه، والحفاظ على الحدّ الأدنى من سويّة الحوارات السياسية بين مختلف القوى اللبنانية، لكي لا نتحدّث عن تشجيعها وتطويرها، خصوصاً في المسائل الشائكة التي تخصّ أطوار ما بعد اغتيال رفيق الحريري، وما بعد الإنسحاب العسكري السوري... أم يلائم، وبالتالي يخدم ـ أكثر ربما، وأولاً ـ جداول أعمال تتجاوز حدود لبنان؟

وهل التوقيت بعيد عن الاجتماع الذي شهدته دمشق مؤخراً، بين نائب الرئيس السوري فاروق الشرع وأمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني علي لاريجاني؟ وهل خدمة جداول الأعمال تلك هي في صالح قضية الشعب اللبناني، بل بالأحرى قضايا الشعب السوري، أم في صالح نظام بشار الأسد؟ وهل المآل الطبيعي المنتظَر المتمثل في وضع الشعب اللبناني بأسره رهينة الهمجية العسكرية الإسرائيلية، هي الثمن الذي لا يجد «حزب الله» غضاضة في سداده مقابل تلك الخدمات الإقليمية؟ ومَن، حتى في بلدة عيتا الشعب ذاتها، فوّض الحزب بعقد مقايضة فادحة كهذه، بل تحويلها (لا كما يطلب «السيد» نفسه، بل كما يفعل معلّقون لبنانيون من أنصار «حزب الله») إلى واجب شعبي شبه مقدّس، دونه خيانة الوطن؟

والحال أن دعم المقاومة اللبنانية بمختلف مستوياته وأنساقه، ومساندة هذه الحصة المقاومة عند «حزب الله» تحديداً، حتى إذا اختلف المرء مع الكثير من خيارات الحزب السياسية والعقائدية، لا ينبغي أبداً أن ينقلب إلى تفويض مطلق لأيّ طرف في الانفراد بقرارات لا تطال عواقبها الوخيمة مصالح ذلك الطرف وحده، بل تمسّ ملايين المدنيين اللبنانيين في بيوتهم ومدارسهم وأماكن عملهم. وحجب هذا التفويض المطلق يصبح أكثر إلحاحاً، بل ويكتسب صبغة أخلاقية كذلك، إذا كان لا يخدم لبنان والشعب اللبناني بقدر ما يخدم نظاماً مستبداً، مثل نظام بشار الأسد، بل يمدّ الاستبداد بالمزيد من أسباب القوّة.

ومن باب تثمين حصّة المقاومة هذه بالذات، لا يجد مواطن سوري مثلي أي حرج في وضع سياسات «حزب الله» على خلفية خدمة جدول أعمال النظام السوري، سواء مباشرة وعلانية، أم موارية واعتماداً على اللغة الخشبية الكلاسيكية (من نوع الحديث عن «صمود» النظام السوري ضدّ الضغوط الأمريكية). وفي آذار (مارس) الماضي فقط، وأمام مئات الآلاف في قلب بيروت، فضّل الشيخ حسن نصر الله امتداح سورية ـ النظام قبل سورية ـ الشعب، وسورية ـ الحاكم قبل سورية ـ الجيش، حين اعتبر أنّ احتشاد مئات الآلاف بدعوة من «حزب الله» هدفه الأوّل هو «توجيه الشكر لسورية الأسد، لسورية حافظ الأسد، لسورية بشار الأسد، لسورية الشعب الأبي الصامد، لسورية الجيش العربي المقاوم الذي كان معنا وما زال في كل سنوات الدفاع والمقاومة».

ولعلّ «السيد» كان، ويظلّ اليوم أيضاً، خير مَن يدرك أنّ هذا الترجيح لـ«سورية الأسد» و«سورية حافظ الأسد» و«سورية بشار الأسد» على «سورية الشعب» و«سورية الجيش العربي» لم يكن أفضل ما انتظره أبناء سورية من زعيم مقاومة يناهض الظلم والاستضعاف والاستبداد والفساد والإفساد. ومن جانبي، لم أجد غضاضة آنذاك في ترجيح من نوع آخر: أنّ ملايين السوريين الذين يحبّون «السيد» شعروا بغصّة (بعض تجلياتها قد تكون العتب أو خيبة الأمل أو الغضب أو السخط) حين بدا زعيم المقاومة اللبنانية وكأنه لسان حال أهل النظام السوري، أو اللبنانيين الموالين له من أمثال عاصم قانصوه! الارجح، كذلك، أنّ «السيد» ـ رغم تضحياته الشخصية وسجلّه المشرّف كرجل مقاومة جسور وقائد سياسي محنّك ـ أدهش الملايين حين قدّم هديته الشهيرة (بندقية إسرائيلية غنمتها المقاومة اللبنانية) إلى العميد رستم غزالي، ضابط الأمن السوري المتسلّط المستبدّ الفاسد.

أبعد من هذا، مع غياب الدولة اللبنانية عن الجنوب، سواء تمثّل ذلك في غياب الجيش الوطني أو في غياب مشاريع الإنماء والتطوير المركزية؛ ومع تعثّر، أو تعطيل، المصالحة الوطنية الشعبية بين مختلف طوائف وفئات الجنوب؛ واستمرار سياسة دمشق الهادفة إلى إبقاء الجنوب ساحة شدّ وجذب وحيدة مع الدولة العبرية (حين يسود الهدوء التامّ سهول وهضاب الجولان المحتل)... هل من الإجحاف القول إن الجنوب اللبناني، في غمرة هذه المعطيات، يبدو بمثابة أرض تحرّرت من الإحتلال العسكري لا لشيء إلا لكي تقع ـ ثانية، ومن جديد ـ أسيرة المعادلات الإقليمية القديمة ذاتها، تلك التي يديرها الآخرون أساساً، أو التي لا تُدار دائماً لاعتبارات تخصّ الأمن العربي أو تحسين شروط الصراع العربي ـ الإسرائيلي؟

وهل من إجحاف كبير في القول إنّ «حزب الله»، بوصفه فصيل المقاومة الأهمّ و«وارث التحرير» الأبرز، هو أيضاً المسؤول الأوّل عن حال كهذه؟ لا أحد ممّن وافقوا ويوافقون على موقع الحزب في سيرورة التحرير، ينازعه حقّ استكمال التحرير حتى الإنسحاب الإسرائيلي من مزارع شبعا، سواء أكانت هذه المزارع سورية أم لبنانية. ولا أحد، ممّن باركوا ويباركون دور «حزب الله» في سيرورة التحرير، ينازعه الحقّ في مواصلة هذا الدور عبر آقنية أخرى مثل دعم الإنتفاضة الفلسطينية، مساندة «حماس»، أو تأييد الموقف السوري في كلّ ما يخصّ استرجاع الجولان، أو حتى الوقوف مع إيران في معركتها الراهنة مع أمريكا والحلف الأطلسي حول تخصيب اليورانيوم.

ولكن أبسط حقوق التحرير على أبطال التحرير هو الالتفات إلى البشر على الأرض المحررة، أو استكمال المهمّة عن طريق تحرير الآدمي المقيم على التراب المحرّر، ومنحه فرصة التمتّع بمغانم التحرير، وتلمّس المعنى الإنساني الملموس لفكرة التحرير. هذا حقّ لا يُنازع أيضاً، وهو ثمن طبيعي مقابل التضحيات الجسام التي بذلها معظم اللبنانيين، أينما كانوا وبصرف النظر عن مواقفهم من «حزب الله» أو حتى من خيار المقاومة بالمعنى العريض. والمراوحة هكذا في المكان، بعد خمس سنوات على التحرير، وبعد المتغيّرات النوعية التي شهدتها المنطقة، لا تبخس اللبناني حقوقه فحسب، بل هي تستبدل معنى التحرير النبيل والإنساني بآخر أقرب إلى الاتجار بالمعادلات الإقليمية.

ذلك يعيد طرح الأسئلة القديمة ذاتها، التي تخصّ صعود «حزب الله» ذاته، ومسارات تطوره قبل تحرير الجنوب اللبناني، ولكن بعد التحرير أيضاً، حين لاح وكأنّ انتصار المقاومة تحقّق عسكرياً وعملياتياً، ولكنه ما يزال ينتظر التحقّق سياسياً واجتماعياً ومعنوياً أيضاً. بين هذه أنّ «حزب الله» صعد أولاً على خلفية انتصار الثورة الإسلامية الإيرانية، ثم تبلور وجوده العسكري والعقائدي بعدئذ على خلفيات الغزو الاسرائيلي للبنان عام 1982، ومجازر صبرا وشاتيلا، واحتلال الجنوب اللبناني. وكان خطّه العقائدي العام مناهضاً على نحو راديكالي لـ«الإمبريالية والصهيونية وعملائهما المحليين» كما جاء في البيانات الأولى. وهو الخطّ الذي يظلّ ساري المفعول بدرجة عالية، خصوصاً بعد أن اتسع نطاق توصيفه لطبيعة الخصوم المحليين وشمل حركة «أمل» والتيارات والمنظمات الشيعية التقليدية الأخرى. ساري المفعول، ولكن إلى متى؟ وكيف، في ظلّ انحطاط العرب، واحتلال العراق وازدياد مخاطر الحرب الأهلية الشيعية ـ السنية هناك، والوضع العالق اللبناني ـ السوري خصوصاً بعد اغتيال الحريري، والإنسحاب العسكري السوري دون اقترانه بانسحاب سياسي أو أمني؟

ومن جديد، في هذه السياقات ذاتها، ليس أيسر من التهليل لصواريخ الـ«كاتيوشا» الساقطة على صفد، وربما في ضواحي حيفا قريباً؛ أو لإطراء موقف الزعيم الدرزي وليد جنبلاط من العدوان الإسرائيلي، وإشارته إلى أنّ الشوف تحت تصرّف أهل الضاحية الجنوبية، ثمّ الاتصال الهاتفي ـ الدافىء كما تردّد، رغم برود الأسابيع القادمة ـ الذي أجراه نصر الله وجنبلاط؛ وازدياد نغمة الحديث عن «الوحدة الوطنية» اللبنانية ضدّ العدوّ الصهيوني، وكأنّ السجال الحادّ حول شرعية سلاح المقاومة صار أثراً بعد عين، وطُوي بين ليلة وضحاها. وإلى هذا، ما أسهل أن يبقى الزعماء في مأمن حصين، يتبادلون العواطف والبلاغة اللفظية، ويتضامنون في ما بينهم، ويحيي بعضهم البعض الآخر، ويزجي الجميع التحية إلى الصمود والتصدي ولبنان الكرامة والشعب العنيد...

ولكن... ما أصعب عيش المواطن اللبناني اليوم، امرأة وشيخاً وطفلاً بخاصة، جرّاء هذا الفصل الجديد في كتاب الهمجية العسكرية الإسرائيلية!

* كاتب وباحث سوري يقيم في باريس

أنقذوا اسرائيل من نفسها

اهداف سويف *

■ في حديقة جميلة لولا عطش الأرض، في ضاحية ومبلدون، حضرت يوم السبت الماضي غداء خيريا لصالح كلية الطب جامعة القدس؛ وفي منزلي، في نفس المساء، شاهدت الأخبار على قناة الجزيرة: سمعت صفارات الإغاثة، ورأيت الشباب ينحنون يقبلون رفيقهم الشهيد في جبهته، وشفتا أمه تتحركان في صمت؛ رأيت رجلا يسرع وسط الركام والمعادن الملتوية حاملا جسد طفلة صغيرة مضرجة بالدماء؛ وكانت النساء تنادي من الشرفات، والصبية تحاول حماية الأطفال، وكبار السن يحدقون في الكاميرا، والكل يسأل: أين العالم؟ أين العرب؟

ضغطت على الزر فاختفى الجميع. أويت إلى فراشي ونمت. في الواقع جلست فترة على حافة الفراش، وكانت المشاهد تعود تدور في مخيلتي وأنا أغسل أسناني وأؤدي مراسم الاستعداد للنوم. وذكّرت نفسي مرارا أن أفرد وجهي وأن أتنفس. وقمت من الفراش مرتين لأشرب بعض الماء وأحاول إزاحة ذلك الثقل الجاثم على صدري. ولكني، في النهاية، أعترف بأنني نمت.

وصحوت على نهار جديد، ورسائل جديدة عبر البريد الإلكتروني: بعضها من زملاء يريدون فعل شيء ويناقشون ما يمكن فعله، بعضها من منظمات ومجموعات تعد خطابات والتماسات من أجل أهل فلسطين والعراق ـ فيجب ألا ينسينا عذاب غزة عذابات الرمادي وحديثة، وبعضها من غزة، تأتي من مواقع عديدة في العالم. وهاكم إحداها:

أيها الأصدقاء أينما كنتم،

أعيش في منطقة بين بيت لاهيا ومخيم جبالية. القوات الإسرائيلية تتحرك نحو منطقتي، وهي الآن على بعد نحو كيلومترين. قتلوا في اليومين الماضيين عشرات الاشخاص، وجرحوا المئات، وهم يطلقون الرصاص والقذائف بشكل عشوائي ويصيبون بيوت المدنيين.... والآن، وأنا أكتب هذه الرسالة، في العاشرة مساء، صار بين بيتي وبين الدبابات نحو خمسمائة متر. في الساعات القادمة سيصبح بيتي داخل المنطقة المعاد غزوها واحتلالها، أما ما يحدث بعد ذلك فعلمه عند الله. يستمع أطفالي إلى صوت الرصاص والانفجارات، ويفهمون أنهم يتعرضون لخطر ليس بمقدوري حمايتهم منه. لم أستطع التفكير فيما يمكنني أن أقوم به سوى أن أكتب هذه الرسالة لكم، وأتمسك بالأمل.

صفوت دياب

أخي الكريم الأستاذ صفوت دياب، وصلتني رسالتك، كما وصلت للآلاف غيري.

وإذا ظن إيهود أولمرت أن أفعال الجيش الإسرائيلي تؤثر فقط على صفوت دياب وجيرانه، أو حتى على الفلسطينيين والعرب، فهو مخطئ، فالعالم يرقب فلسطين، والملايين يشهدون على ما يجري فيها، وأهل الخير لا يسيغون الوقوف مكتوفي الأيدي أمام الظلم، فهم يتحركون.

في المنتدى الاجتماعي الأوروبي، الذي انعقد بلندن في تشرين الاول (أكتوبر) الماضي، وقف يوناتان شابيرا، الطيار في السلاح الجوي الإسرائيلي، وطالب بفرض العقوبات الشاملة على إسرائيل. وكان شابيرا قد رفض قبل عام أمرا بقصف إحدى مدن الضفة، وأقنع بعضا من رفاقه بعصيان الأمر نفسه. تحدث شابيرا عن حبه لبلاده، وعن قناعته انها تسير نحو التهلكة. أتى لندن طالبا المساعدة. قال ان أوروبا تمثل الأمل الوحيد المتبقي وعليها أن تفرض العقوبات على بلاده وترغمها على عقد صلح حقيقي مع الفلسطينيين. وضج ثلاثة آلاف مستمع بالهتاف والتصفيق.

وقامت شابة فلسطينية وحكت عن آخر جندي إسرائيلي رأته: أرغمها على المشي فوق أجساد أقربائها وهي تهرب من شاتيلا. قالت ان شابيرا دعم عندها إحساسا بالقواسم الإنسانية المشتركة. كان الكل في حالة انفعالية حميمة وبدت إمكانية قول الحق والمصالحة في متناول اليد تقريبا.

لكن عالم السياسة الرسمي لا يعكس شيئا من إرادة الناس، فتظل إسرائيل تحظى بالتفضيل عند أوروبا التي تساهم في تجويع الفلسطينيين لانتخابهم حماس. ونحن، المواطنون، نشغل أنفسنا بجمع التبرعات للأدوات الطبية، وبالتبرع بالكتب والأقلام الملونة، وبالتوقيع على الالتماسات والرسائل، بينما يقتل جنود إسرائيل الأطفال في غزة، ويبترون السيقان والأذرع في جنين، ويهدمون البيوت في نابلس، وتقدم إسرائيل للمستوطنين اليهود الذين تم إخلاؤهم من غزة الأموال والأراضي المسروقة حديثا في الضفة.

وقع ثلاثمائة من يهود بريطانيا على خطاب شديد اللهجة يدين العمليات الإسرائيلية. لكننا جميعا موصومون بفشل حكوماتنا في وضع حد لحملات إسرائيل الشرسة ضد الفلسطينيين. أما عرب أوروبا فمخذولون مرتين حيث يرصد العالم، مرة جديدة، عجز الحكومات العربية.

منذ أن أسر المقاتلون الفلسطينيون الجندي الإسرائيلي جيلعاد شاليط، وصل عدد من قتل من الفلسطينيين على أيدي إسرائيل إلى اكثر من مئة شهيد، و أصبح من شبه المستحيل على الأجانب دخول قطاع غزة، وتقول بعض التقارير ان إسرائيل بصدد إغلاق الضفة أيضا.

وبالأمس، فيما يبدو أنه محاولة للتخفيف عن أهل غزة، هاجم مقاتلو حزب الله موقعا حدوديا إسرائيليا وأسروا جنديين. وسوف نرى بالتأكيد تصعيدات أخرى، ومنبع كل هذا هو اضطهاد إسرائيل للفلسطينيين.

لقد آن الأوان ـ ليس لمساعدة الفلسطينيين على البقاء والاستمرار في نطاق الحصار الذي تفرضه إسرائيل ـ بل لإنقاذ الفلسطينيين، ولإنقاذ إسرائيل من نفسها، ولإنقاذ العالم من آثار الحزن العميق والغضب الجامح الذي يستثيره العذاب الفلسطيني في قلوب الملايين. آن الأوان لإجبار إسرائيل على مواجهة ما آلت إليه وعلى أن تقرر في العلن ماذا تريد أن تكون. آن الأوان لفرض العقوبات الشاملة على إسرائيل.

* كاتبة من مصر

زيدان وبلير والإرهاب

عبدالوهاب الافندي

(1)

بمجرد أن شاهدت الحادثة الشهيرة التي قام فيها لاعب فرنسا الدولي زين الدين زيدان بالاعتداء بالضرب على منافسه الإيطالي في نهائي كأس العالم حتى انتقل فكري تلقائياً إلى «الإرهاب». الملاحظ أنني شاهدت قبل ذلك اعتداءً يكاد يكون متطابقاً من لاعب برتغالي على منافسه السويسري، ولم تخطر نفس الخاطرة بذهني. فهل هذا يعني أننا معشر العرب قد وصل بنا الحال إلى استبطان التهم ضدنا بحيث أصبحنا نستبق الإدانة ضدنا باعتراف مباشر بالجرم؟

(2)

كلمة «الإرهاب» سرعان ما بدأ تداولها إعلامياً، ولكن ليس في إطار توجيه التهمة لزيدان، بل في إطار توجيه الاتهام إلى خصمه الإيطالي ماركو ماترازي الذي قيل انه اتهمه بأنه إرهابي مما أغضب زيدان. وفي رواية إن ماترازي قال لزيدان يا «ابن العاهرة الإرهابية».

(3)

هنا تحديداً يظهر وجه الشبه بين ما فعله زيدان وبين الإرهاب. ذلك أن ما قام به اللاعب البرتغالي الذي أشرنا إليه أعلاه يندرج تحت بند الإجرام البحت، بينما كان الانطباع بأن زيدان تعرض لاستفزاز يفوق الاحتمال دفعه إلى ما أتى من عمل. وبالمثل فإن العرب المتهمين بالإرهاب لهم مبرراتهم من ظلم وعدوان وإذلال واستفزاز، مما يجعل رد فعلهم يختلف عن العدوان الإجرامي غير المبرر.

(4)

هذا الوضع يطرح مسألة أخرى، وهي أن الاستفزاز في حق زيدان كان مقصوداً لدفعه لعمل طائش يخرجه من اللعب أو على الأقل يضعف مساهمته ويشتت فكره. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ألم تكن الاستجابة للاستفزاز سقوطاً في الفخ الذي نصب لزيدان؟ وهل كان الهجوم على ماترازي هو الانتقام الفاعل للإساءة، أم الاستمرار في اللعب والتأكد من هزيمة ماحقة لإيطاليا بما يوجه صفعة أقوى للاعب المعتدي؟ نفس السؤال يمكن أن يوجه في حالة حركات المقاومة العربية: هل الأفضل الاستجابة للاستفزاز الذي يقصد منه دفع المقاومة إلى أعمال طائشة تضر بها، أم الصبر وتوجيه الضربة القاصمة للعدو في الوقت المناسب والميدان المناسب؟

(5)

وبالحديث عن الإرهاب وقواعد اللعبة، فإن لاعباً آخر قرر كما صرح في وقت سابق «تغيير قواعد اللعبة» يجد نفسه أيضاً في المربع الخطأ هذا الأسبوع. رئيس الوزراء البريطاني توني بلير أخذ على عاتقه قيادة الجهاد العالمي ضد الإرهاب، وهو أمر يتم حسب رأيه بتشديد الإجراءات القانونية وإضعاف حقوق المتهمين وطالبي اللجوء السياسي. ولهذا الغرض وسع بلير سلطات الشرطة في التحقيق والاعتقال، وعقد اتفاقية تبادل مجرمين مع الولايات المتحدة تتيح تسليم المطلوبين بدون الحاجة إلى تقديم أي أدلة ضدهم.

(6)

في الأسابيع القليلة الماضية، وجد بلير نفسه في وضع محرج أمام القوانين التي استنها، فأصبح هو في النهاية من ضحاياها. وقد كان بلير ومعظم البريطانيين يرون أن هذه القوانين لن تطال في نهاية المطاف سوى المسلمين والأجانب. ولكن حتى هنا ظهرت هناك إشكالات كما حدث حين قامت الشرطة بمداهمة منزل أسرة بريطانية مسلمة اتهمت بالإرهاب وثبتت براءة أفرادها بعد ذلك، مما سبب إحراجاً كبيراً للشرطة والحكومة والأجهزة الأمنية.

(7)

في نفس الفترة تفجرت الأزمة حول اتفاقية تبادل المجرمين مع الولايات المتحدة حين قررت المحاكم على أساسها تسليم ثلاثة من كبار المصرفيين البريطانيين إلى أمريكا بتهمة الاحتيال. ولأن المصرفيين كانوا من «قريش»، ومن قلب الطبقة الوسطى الثرية، ولم يكونوا آسيويين أو لاجئين، فقد ثارت ثائرة المشرعين البريطانيين الذي أدركوا فجأة أن الاتفاقية التي أجازوها (ولم يقبل بها الكونغرس الأمريكي حتى الآن) هي اتفاقية أحادية الجانب تتيح للولايات المتحدة تسلم المطلوبين بدون مجرد عرض أي أدلة ضدهم أمام المحاكم البريطانية، بينما لا يتاح نفس الأمر للمطلوبين لبريطانيا من أمريكا.

(8)

واجه رئيس الوزراء البريطاني توني بلير عاصفة من الاحتجاج من البرلمان والصحافة والمنظمات الحقوقية على خلفية تسليم المطلوبين الذي تم ترحيلهم إلى تكساس أمس الخميس. ولكن هذه لم تكن أكثر متاعب بلير، حيث أنه قد يصبح هو أيضاً أحد المطلوبين للعدالة البريطانية، بعد أن قامت الشرطة أمس الأول باعتقال مستشاره المقرب والمسؤول الأول عن تمويل حزب العمال لورد ليفي في إطار التحقيق في فضيحة منح عضوية في مجلس اللوردات مقابل التبرع لحزب العمال، وهو تصرف يخالف القانون. ورغم أن لورد ليفي أطلق سراحه بكفالة، فإن بلير نفسه قد يواجه التحقيق في هذه القضية، وربما المحاكمة والسجن. وحينها قد يتمنى لو أن القانون البريطاني كان يشتمل على ضمانات أكثر تتيح للمتهمين الدفاع عن نفسهم. وعلى نفسها جنت براقش.

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(212 37)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) Fax: 0208-741 8902 / 748 7637
email: alquds@alquds.co.uk * Internet: www.alquds.co.uk
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364